الاتجاه البنيوي في نظرية شكري محمد عياد النقدية

The structural trend in Shukri Muhammad Ayyad's critical theory

الدكتورة صليحة لطرش [1]*

[1] جامعة البويرة (الجزائر)، **seg1610@yahoo.com**

تاريخ الاستلام: 2022/01/26 تاريخ القبول: 2022/02/28 تاريخ النشر: 2022/06/05

ملخص:

إن الدراسات النقدية التي تناولت النقد العربي قديمه أو حديثه ، كثيرة ومتنوعة حتى ليبدو من قبيل المغامرة اليوم من حيث الظاهرة ،على الأقل أن يجازف المرء بنفسه فيعود إلى البحث في هذا التراث ، دون أن يقع في تكرار ما قيل خاصة إذا انطلق من بناء نظريته، أو بعبارة أخرى تصوره لهذا النقد كنظرية شكري محمد عياد في الاتجاه البنيوي .

كلمات مفتاحية: النقد الأدبي. المنهج.، البنيوية. النص الأدبي.، النظرية.

Abstract:

The critical studies that dealt with Arab criticism, ancient or modern, are many and varied, so that it seems adventurous today, in terms of appearance, at least, to risk himself and return to research in this heritage, without falling into repeating what was said, especially if he proceeds from building his theory, or In other words, his conception of this criticism as the theory of Shukri Muhammad Ayyad in the structural direction.

* المؤلف المرسل. الدكتورة صليحة لطرش

Keywords: literary criticism; method; structuralism; literary text; theory.

1-مقدمة:

تتناول المقالة مفهوم الاتجاه البنيوي عند شكري محمد عياد, فالخطاب النقدي العربيلم يكن بمعزل عن إفرازات الحداثة فقد عرف تحولات كثيرة تبعا للمراحل التطويرية التي لامست الحياة و الفكر فكانت من أبرز صور هذه الحداثة ما يعرف بالمنهج البنيوي وما تفرع منه، ومعلوم أن البنيوية لم تظهر في الساحة الثقافية العربية إلا مع بداية السبعينيات عبر المثاقفة و الاحتكاك المنهجي بالغرب، حيث تمظهرت في شكل كتب و مؤلفات للعديد من النقاد العرب ساهمت في التقديم و التعريف بالبنيوية فكان من بين أبرز هذه المؤلفات مدونة (بوخالفة ميادة،2014،ص149)

تستمد المناهج النقدية الحديثة ،التاريخية أو السياقية، عناصر تعاملها مع النص الأدبي من سيرة مبدع النص وضمن إطاره البيئي والاجتماعي والنفسي، وهذا بتأثير من النظريات الفلسفية والوضعية التي كانت سائدة، أماالنقد المعاصر فقد عرف تحولات جعلته لا يلتفت إلى الأساليب القديمة بل سعى إلى فك أي ارتباط للنص مع العناصر الخارجة عنه، ليبقى نصا مجردا إلا من علاقته مع ذاته، وانطلاقا من بنيته الداخلية :النحوية، الصرفية، الصوتية، المعجمية، والتركيبية...التي أصبحت مستويات للتحليل واستنباط معنى الأثر الأدبي من نصيته (حسين خالفي، 2020، ص02)

بالإضافة إلى الاتجاه الاجتماعي الذي أبدى حينه شكري محمد عياد رأيه فقد كانت له مساهمة أخرى تظهر جلية في خضم "نظريته النقدية" ألا وهو "الاتجاه الفني " الذي يتناول العمل الأدبي باعتباره معادلا فنيا للواقع ، لا مجرد تعبير أو تصوير له ، والذي يعتمد في تحليل النص الأدبي على ظروفه الخارجة فحسب وإنما نحلله في ضوء مكوناته الداخلية (شايف عكاشة، 1985،ص51)

فالدراسة التاريخية للظواهر اللغوية يجب أن تأتي تابعة لدراسة اللغة كنظام مستقل بفترة زمنية معينة وجماعة بشرية معينة، فمعرفة النظام يجب منطقيًا أن تسبقَ معرفة التغيرات التي تطرأ عليه.

وفي موقف آخر نجد نبيلة ابراهيم ترى أن المنهج البنيوي يعتمد في دراسة الأدب على النظر في العمل الأدبي في حد ذاته بوصفه بناءً متكاملاً بعيدًا عن أية عوامل أخرى أي أن أصحاب هذا المنهج يعكفون من خلال اللغة على استخلاص الوحدات الوظيفية الأساسية الهذا العمل (نبيلة إبراهيم، 1991 ص85)

أما فائق مصطفى وعبد الرضا يرا : أننه منهج فكري يقوم على البحثِ عن العلاقات التي تعطي العناصر المتحدة قيمة، ووصفها في مجموع منتظم مما يجعل من الممكن إدراك هذه المجموعات في أوضاعها الدالة (أمال عدون،1989،ص09)

وقد ظهرت حديثا في مصر دراسات شتى يمكن أن تظم في إطار هذا الاتجاه من أهمها دراسة شكري محمد عياد للبنيوية، ومن ثم فقد استفادت دراسات العربية من الاتجاه البنيوي في دراسة الظاهرة الأدبية ، وتعد البنيوية مادة مدا مباشرا من اللسانيات ، ويقف سويسر على صدارة هذا التوجه النقدي وذلك منذ أن اخذ بتعريف اللغة على أنها نظام من الإشارات وهذه الإشارات هي أصوات تصدر من الإنسان ولأتكون بذات قيمة إلا إذا كان صدورها للتعبير عن فكرة آو لتوصيلها فشكري محمد عياد يرى أن المنهج البنيوي من المناهج الرئيسية التي تقوم على دراسة الأعمال الأدبية ولهذا الاتجاه في الوقت الحاضر أتباع متحمسون في أقطار مختلفة وهذا المنهج كما يعرفه شكري محمد عياد " هو النظر إلى الظواهر الأدبية كجزء من البنية آو التركيبة الأساسية للنص ، فهو يعتمد من ناحية على التحليل الدقيق لجزيئات العمل الأدبي كنص لغوي ومن الناحية الأخرى يعمل على اكتشاف العلاقات بين هذه الجزيئات ، وما يعد منها مهيمنا وما يعد فرعيا (شكري محمد عياد،1985،ص153)

فهو الوقوف على الدلالة اللغوية له، فبالعودة إلى المعاجم اللغوية يتبيَّن أنها تحدّرت من بَنى يبْني بناءً، فهي إذن الصورة أو الهيئة التي شَيد عليها بناء ما، وكيفية ذلك التركيب (ابن منظور

،1967،ص14)هذا التركيب الذي بدا ظاهرا في الهندسة النقدية عند شكري محمد عياد والتي ستتضح أكثر في هذه الدراسة من خلال : أدبية النص ، والمنهج التاريخي والنسق البنيوي، البنية النصية .

أولا :أدبية النص

إنّه العنصر الأساسي في العمل الأدبي هو أدبيّة الأدب، التي تتمثّل في دراسة العناصر الداخلية للأدب والتي تجعل منه أدبًا، وتحدّد مدى قدرته على القيام بوظيفته الجمالية، ممّا ينقل مركز القيمة في الأدب من الدراسات التاريخية والاجتماعية والنفسية التي كانت تحيط به سابقًا، إلى الأعمال الأدبية ذاتها، وما تتضّمنه من أبنية لغويّة داخلية تحدّد الوظيفة الشعريّة للأدب من خلال مستوياته اللغوية (ليان حسن،2020،https://sotor .com/)

إنها أداة يتبعها الناقد من أجل رصد ظاهرة من الظواهر الأدبية التي تدرس النص ، باعتباره بنية أساسية تعتمد على التحليل الدقيق لجزيئات العمل الأدبي ، ثم العمل على كشف العلاقات الموجودة بين هذه الجزئيات " لذلك عدة البنيوية منهجا نقديا جديدا يهدف إلى تجاوز طرائق المناهج الأخرى في تحليل الخطاب الأدبي ، ويتناول الخطاب في ذاته مستفيدا من أسمى منهج البنيوية وتدرسها كأبنية متكاملة ذات قوانين تحكم نظامها وتدرس هذه القوانين والنظم المحددة لا كوحدات جزئية متنافرة (نور الدين السّد ،1997 ،ص73) دراسة الأعمال الأدبية عملية تتم في ذاتها، بغض النظر عن المحيط الذي أنتجت فيه؛ فالنص الأدبي منغلقٌ في وجه كل التأويلات غير البريئة التي تعطيه أبعادًا اجتماعية أو نفسية أو حتى تاريخية، ومادّيٌّ في كونه قائمًا على اللغة أي الكلمات والجُمَل. بالإضافة إلى ذلك هناك مبدأ مهم نادى به رولان بارت ألا وهو قوله: "اللغة هي التي تتكلم، وليس المؤلف" وذلك حين ضمَّن هذا التصور في مقالته «موت المؤلف» من كتابه (رولان بارث،1994،ص25) إن كل اتجاه نقدي مهما كان ينطلق من مبادئ فكرية وأسس معرفية لتحديد طبيعة المفاهيم والمصطلحات التي يرتكز عليها النقاد في دراسته *التطبيقية ، فالبنيوية —كما جاء بها ميشـال ريفاتير – يقول عنها شكري محمد عياد

" أنها تحاول التغلغل دور القارئ باعتباره جزئا من عملية التوصيل ، ويعول عليه في تمييز بعض الوقائع الأسلوبية داخل النص ، ولذلك فهو يقترح ما نسميه بالقارئ العمدة Archlecteur وهو ليس قارئا معينا بل مجموعة استجابات للنص الذي يحصل عليه المحلل من عدد من القراء ، ويقرر رفاتير أن استجابة القارئ العمدة لا تفي الباحث الأسلوبي كاستجابات قيمية بل أن أحكامه بالاستحسان أو عدمه ، لذلك يجب إسقاطها من الحساب وإنما تنحصر فائدته في تعيين الوقائع الأسلوبية لتفسيرها ويبقى التفسير مهمة الباحث الأسلوبي نفسه ونجاحه في هذا ل العبر يتم في إدراكه للبنية الأساسية للنص.

ذلك أنّ السياقَ مهمّ لفَهم النص وليس العكس، لذلك ذهب الكثير من البنيويين إلى الانتقال من البنيوية إلى ما بعد البنيوية، وكان من أهم البنيويين الذين تحولوا هذا التحول رولان بارت وجاك دريدا، الذين قالوا بدور القارئ في النص وتوليد معاني جديدة فيه، والقارئ فيما بعد البنيوية هو منتج جديد للنص، من خلال تفكيكه وإعادة كتابته (ليان حسن،2020، https://sotor .com/)

هنا قد نخلص من خطر الذاتية ، نتخلص في الوقت نفسه مما وقع فه بعض البنيويين من الاعتماد الكلي على الأشكال النحوية دون تمييز بين وقائع وأخرى " ولكن تقوم في وجهه مشكلة اختلاف عصر المؤلف من عصر المتلقي إذا كان النص قديما ، وهنا اختلف المصطلح اللغوي بين المرسل والمستقبل ، فكلمة استعملها لمرسل على أنها عادية يراها المستقبل على أنها مهجورة (شكري محمد عياد،1985،ص153)

فتعدد المصطلحات التي تؤدي مفهوما واحدا أو بالأحرى انفراد السياق النقدي الذي يلزم الناقد إلى تحري الدقة في اختيار السياق الذي يكون المدار المعتمدوالمحدد لسلسلة الأفكار .

وسنحاول في ورقة هذا المقال الإجابة على عدة تساؤلات تمكننا من خلالها الاقتراب من صلب هذا الموضوع النقدي ونصوغ هذه الأسئلة وفق وفق ما يسمى بالمنهج التاريخي وعليه كيف يتم حضولر المعنى البنيوي للظاهرة الأدبية

ثنيا: المنهج التاريخي

إن تركيز المنهج التاريخي على مفهوم الحضور، حضور المعنى فيّ النص، حضور المؤلف، حضور الظروف التي ساعدت على قيامّ النص الظاهرة الأدبية ، حضور الماضي،ّ أدى في نهاية المطاف إلى بلورة تصورّ قار عن الأثر الأدبي كونه أشبه ما يكون بوثيقة تاريخية تستفرغ وقائعها وأحداثها، ودراسة الأثر الأدبي تتحقّق دون الالتفات إلى الأسئلة الجوهرية التي يمكن أن يثيرها الأثر في منأى عن عنصري الزمان والمكان اللذين يقيدان كل دراسة أدبية (حكيم دهيمي،2011،ص56)

انه بحث عن الثوابت في العلاقات بين أجزاء النص ،كما ترده بن رغبته في اتخاذ معيار موضوعي لتحديد النقاط المؤثرة أو ذات الدلالة الجوهرية في النص وبين ضرورة الاعتماد على فهم الناقد الخبير ولكن مايراه شكري محمد عياد " أن ريفاتير قد لجأ إلى معيار إضافي يكمل به معار الناقد العمدة هذا المعيار يلتمس من داخل النص نفسه ويقوم على العلاقة المتبادلة بين السياق والمسلك ومثال ذلك ان الجملة القصيرة في السياق من الجمل الطويلة يعد مسلكا أسلوبيا قائما على مخالفة الوقع لإثارة الانتباه فكل كسر متعمد للسياق فهو مسلك أسلوبي (شكري محمد عياد،1985،ص153)

ومن هذه الخاصيةِ تنطلقُ البنيويةُ في نقدِها للأدبِ من المسلَّمةِ القائلةِ بأنَّ البنيةَ تكتفي بذاتها، فالنصُّ الأدبيُّ مثلاً هو بنيةٌ تتكونُ من عناصرَ، وهذه العناصرُ تخضعُ لقوانين تركيبيةٍ تتعدى دورَها من حيثُ هي روابطُ تراكميةٌ تشدُّ أجزاءَ الكيانِ الأدبيّ بعضَه إلى بعضٍ، فهي تُضفي على الكلِّ خصائصَ مغايرةً لخصائصِ العناصرِ التي يتألف منها البعض ووضع الأحكام في سياقها المعرفي والتاريخي، يكاد يكون ظاهرة عامة فيّ النقدالعربي، كالقولّ بأن: »ّ النقد الأدبي المعاصر تعوزه المفاهيم النقدية، كي يخرج عن وضعيته الوصفية والرؤيوية أو كي يتغلب عليها، كي يتجاوزها إلى ما هو بحث علمي وشغل ينتج معرفة النص.

فالبنيويون وضعوا نصب أعينهم على دراسة أبنية العمل الأدبي و علاقاتها ببعضها البعض، و كيفية أدائها لوظائفها الجمالية و اختبار لغة الكتابة الأدبية عن طريق رصد مدى تماسكها و تنظيمها المنطقي و الرمزي و مدى قوتها و ضعفها بصرف النظر عن الحقيقة التي تعكسها. و قد رفعوا شعار عريضا ألا و هو: النص و لا شيء غير النص أي البحث في داخل النص فقط عما يشكل أدبيته أي طابعه الأدبي. وقد حاولوا من خلال ذلك علمنة الأدب أي إضفاء الطابع العلمي الموضوعي على عملية الاشتغال عليه قصد تجاوز الأحكام المغرضة والإيديولوجية التي قد تشوه هذه الممارسة النقدية. (ليان حسن،2020، https://sotor .com/)

ومن ثم نرى أن ريفاتير قد خالف معظم البنيويين من حيث إعطاءه القدر الكبر من الاهتمام بسيكولوجيا القارئ بدلا من التركيز الكلي على النص في ذاته ، والى جانب شكري محمد عياد فالتناقض الكامن في حضارة الغرب انعكس على البنيوية ، وهذا ما جعل النقاد يتهمونها بسجن الإنسان داخل النظام ، وقتل صوته مقابل صوت اللغة .

ويرى كذلك جميل حمداوي بأن البنيوية: طريقة وصفية في قراءة النص الأدبي تستند إلى خطوتين أساسيتين وهما : التفكيك والتركيب، كما إنها لا تهتم بالمضمون المباشر، بل تركز عل شكل المضمون وعناصره وبناه التي تشكل نسقيه النص في اختلافاته وتآلفاته (جميل حمداوي ، https://www.almothaqaf.com/b2/922403)

وثمة ناحية أخرى لها علاقة بتطبيق المنهج التاريخي فيّ النقد الأدبي الحديث والمعاصر وأعني التجميع بدل التحليل، ّ ولعل إطلاله سريعة على ما ألفه الرواد الأوائل في هذا الشأن تكشف صفة حشد الوقائع والمعطيات المتعلّقة بالعصر على حساب تحليل الأفكار وتقصي عناصر الأثر الأدبي، فابتداء من جورجي زيدان في كتابه " تاريخ آداب اللغة العربية " ومرورا بالشيخ أحمد الاسكندري في كتابه " الوسيط في الأدب العربي وتاريخه وصادق الرافعي في كتابه " تاريخ آداب العربية " وأحمد حسن الزيات في كتابه " تاريخ الأدب العربي " وصولا إلى عبد االله ركيبي في كتابه " ظاهرة الشعر الديني الجزائري الحديث وغيره، نجد كتبا يؤخذ عليها التركيز على الوقائع

والمناسباتّ والسير أكثر من اهتمامها بالظاّهرة الأدبية في ذاتها. (حكيم دهيمي،2011،ص56)

ويرى شكري محمد عياد أن في البنيوية " نموذجا لسعي الحضارة الغربية لتحقق الثبات على الرغم من استحالة على النشاط الإنساني"(شكري محمد عياد،1985،ص153)

فحال الإنسان متقلب وكذا الأمر بالنسبة لنشاطه ، فكأن يكون النظام والثبات ، والحالة متغيرة متجددة في كل حين وقد سعت البنيوية في سبيل تخليص من الأحكام الذاتية إلى التوصل بالعلوم الطبيعية ا طالبا للعلمية والموضوعية ، ويرى عياد في هذا المسلك خطرا كبيرا على النقد المعاصر ، فمحاولة اكتشاف ووضع قوانين ثابتة للأدب مثل القوانين الطبيعية " أوقعته في مشكلات كبيرة وألجأ ممثليه إلى وضع عدد وفير من المصطلحات التي تشبه لمصطلحات العلمية دون أن تتمتع بالثبات والقبول العام الذي تتمتع به المصطلحات العلمية (سعد البازغي ،2004، ص85) .

إذن فقد خلق النقد لنفسه أزمة وهو يحال وان يرتدي ثياب العلمية التي وان صلحت لغره فن تصلح للأدب ، ذلك أن الأدب أساسه الخال ومن الصعب – إن لم يكن من المستحيل – أن توضع له قوانين علمية صارمة تفرض عليه منطقها فمنطقه اللا منطق يخرق الحواجز ويكسر لقيود .

ثالثا : النسق البنيوي

النص من منظور البنيوّية هو " لعبة الاختلافات ونسق من العناصر البنيوّية التي تتفاعل فيما بينها وظَف بإدخال نظام ثابت من العلاقات التي تتطلب الرصد المحايث والتحليل الآني الواصف من خلال الهدم والبناء، أي تفكيك النص إلى تمفصلاته الشكلية واعادة تركيبها من أجل معرفة آليات النص ومولداته البنيوية العميقة ." (سعد البازغي ،2004، ص85)

وهذا السعي الحثيث لتحقق حلم النقد العلمية ، جعل كل ناقد يرى السبيل إلى ذلك بمنظاره الخاص وفق أفكاره الخاصة ، وهذا ما أدى إلى أخذ ورد كبيرين في الأفكار والاصطلاحات وكل

يدعي لنفسه أفكاره وصواب مصطلحاته ، فنجد شكر محمد عياد يقول : " ومرد هذا الاختلاط في الأفكار والاصطلاحات أنهم يحاولون ما لا سبلا ليه يحاولون أن يجعلوا النصوص الأدبية ماكان منها وما سيكون – موضوعا لعلم كالعلوم الطبيعية ، ويستمدون مبادئهم من علم اللغة أو علم الاتصال ، دون مراعاة اختار الفن الأدبي جوهريا عن سائر أنواع الاتصال اللغوي (شكري محمد عياد ،1993،ص33)

ففي سبيل الوصول إلى العلمية تلقف الباحثون كل يمت بصلة لها من سائر العلوم الأخرى وحاولوا إسقاطها على الأدب بل إخضاع الأدب لها ومن ثم تحقيق علمية النقد .

و من أهم ما نادت به البنيوية موت المؤلف إذ يعد " أساس قيام خطاب الحداثة " (شكري محمد عياد ،1993،ص33) ، وهوة موت معنوي حيث عزل صاحب النص وأحواله الشخصية ، و ظروفه الاجتماعية ، والسياسية ، وغيرها أثناء تناول العمل الأدبي ، فالنص هو المخول الوحيد لقول ما يريد دون فرض سلطة قهرية عله وهي سلطة المؤلف وقد جاءت هذه لدعوى كرد فعل على أنصار النقد السياقي

الذين بالغوا في إعطاء السلطة لصاحبي النص ، وإسقاط حياته وظروفه على العمل الإبداعي ، ومع أن لهذه الفكرة ايجابيات إلا أنها في المقابل لها سلبياتها وقدا أشار شكري محمد عياد إلى هذا في معرض حديثه عن المعنى الكلي للنص ، أي إذا زعمنا أن للنص معنى كليا فهل هو المعنى الذي قصده المؤلف أو المعنى الذي وصله إليه القارئ ، وهل يصل مختلف القراء إلى معنى واحد وهو لذي قصده المؤلف ؟ أو أن لكل قارئ معنى يصل إليه ؟ إشكالية كبيرة مطروحة في ميدان النقد والدراسة الأدبية ، وكان كل اتجاه نقدي إضافة مبدأ من المبادئ النقدية ، ويوح أخرى حيث تعالت صيحات نادت بموت مؤلف ، وهي صيحات البنيوية ، ويرى شكر محمد عياد خطرا كبيرا ينجر عن إسقاط المؤلف هو الإسقاط الحتمي للمعنى الكلي ، وإذا سقط هذا الأخير تبعه العمل الأدبي هو الأخر ، مع فقدانه لروحه ، والأكيد أن هذا سيؤثر سلبا على النقد يقول " فإذا كنا ننسب إلى العمل الأدبي صفة الحركة كظاهرة جوهرية ، فلابد أن يكون هنك عنصر

مهيمن على هذه الحركة كما تهيمن الروح عن حركة النفس (عبد الغاني بارة ،2005،ص121).

وهو الموقف نفسه الذي يذهب اليه حسين الواد: " العمل الإبداعي الأدبي منغلق على ذاته فإنه يقوم على نظام داخلي يجعل منه كلا متماسكا تنشأ بين عناصره (الكلمات) شبكة من العلاقات التي تستمد قيمتها من علاقاتها المتبادلة. فكل خصائص العمل الأدبي مجتمعة في بنائه الداخلي." (حسين الواد،1985،ص25)

وغير بعيد عن هذا الموقف من القراءة السياقية نجد من يشكك في قدرة هذه القراءة على اكتناه الخطاب الشعري الحداثي والإحاطة " بالميكانيزمات " التي تشتغل بها عناصره لأنها تعتمد على تحكيم الخارج في مقاربة حداثة شعرية تتطلب وعيا نقديا جديدا ورصيدا زاخرا من الأدوات الإجرائية التي تتوافد على إمكانيات فهم الغموض في النص الشعري الحداثي من منطلق أن هذا الغموض » راجع في الحقيقة إلى تبديل الموقف من المعنى وطرائق إنتاجه، إن المعنى الذي تغير ليس مسألة طفيفة يمكن التقاطها بقراءة النص من خارجه، بل إن نظام المعنى هو الذي تغير (حكيم دهيمي،2011،ص56)

بل نجد أن هذا المسعى قد تعمق من خلال قناعات بعض أعلام النقد الأدبي العربي فيما يخص مشروعية مسايرة الآخر–العقل الأوروبي بالخصوص– في كشوفاته المعرفية وأدواته الإجرائية في المقاربة والبحث بدافع صلة القرابة الجغرافية من جهةّ والرصيد التاريخي المشترك الذي تختزله قرون الماضي من جهة أخرى، ما جعل كثيرا من النقاد والدارسين العرب يغرفون من المصدر الفرنسي دراسة وترجمة قصد تطعيم دراساتهم وأبحاثهم بروح الجدة والدقة العلمية التي تنطوي عليها الممارسة النقدية (حكيم دهيمي،2011،ص56)

مانخرج به من هذا القول أن لكل عمل روح ينفخها فيه صاحب العمل ، فبإزاحته عن مكانه تتلاشى تلك الروح وبالتالي يرفض فكرة موت المؤلف رفضا مطلقا ، رغم هذه السلبيات لا ان البنيوية بدعواها هذه فرضت النقد كثيرا فيكف أن الأديب لم يعد له تلك السلطة التي يمارسها

على النقاد ويفرض على النص مايريد ، هذا ونجده عيب على نقاد الحداثة تبنيهم هذا المشروع ، وجع كل اللوم عليهم ، وذلك أن البنيوية استهوتهم بادعائها أن بإمكانها جعل النقد علما ، فهالهم هذا التطلع الطموح ، فانبروا يطبقونهم في دراستهم للأدب ، كأنه المنهج الفصل ، الذي لايأتيه الباطل ، فلم يحاولو غربلتهم اي فهمهم في أصوله الفلسفية والتقاء ما يخدم أدبنا ، ونقدنا لذا نجده يقول : " قد انساق أتباع البنيوية وراء إغراءها ونسوا محاذرها كما نسوا أنها بكل ماجاءت به ليست إلا حركة في مجرى التاريخ ، تمخض عنها التاريخ ولابد أن يبتلعها كما ابتلع غيرها ، لم يعنوا كثيرا بمصادرها الفلسفية ولم يتعمقوا البحث في جذورها التاريخية بل أخذوها جاهزة كمنهج جديد في النقد الأدبي يستعلي على المناهج السابقة بموضوعيته ونسو إن الأدب رؤية قبل أن يكون شكلا وان النقد الذي يحصر همه في الشكل يعجز عن عقد الصلة بينه وبن الأثر الأدبي ثم عن عقد الصلة بينه وبينهما وبين القارئ (شكري محمد عياد،1986،ص64)

لكن عبد الملك مرتاض يرى أنها "نشأت على أنقاض واقع نقدي مهترئ، قاصر الرؤية، رتيب المنهج، مزعج الأحكام غير بريءالموقف، غير حيادي السلوك، غير منصف في الاستنتاج، قائم علىّ تقصي سقطات المؤلف والكيل له،ّ ولعل ما بلغه النقد التقليدي منّ رقي هي النظرية الثلاثية التأثيرالاستعمارية الهوى، غير العلمية النزعة، التي كانّ روج لها " تين " والمتمثّلة في العرق وتأثير الوسيط وتأثير الزمن في الإبداع." (فؤاد بن منصور ،1989،ص65)

فالنقد البنيوي قد يُحول النص الأدبي إلى خطاطات وجداول ما أبعده عن الفهم ، ورمى به في بحر الغموض والإبهام ، فبدل أن يقم جسرا بين العمل الأدبي وناقده ، ومتلقيه أقام حواجز بينهم فلا النص بقى ذل الإبداع ، والخروج عن المألوف ، ولا النقد كشف مواطن الجمال فيه ولا المتلقي فهم النص وفهم نقده .

هذا ما جعله رفض البنيوية رفضا مطلقا ، ويرفض كل النظريات الغربية التي تقول بموت المؤلف أو عزل النص عن سياقه الخارجي ، واعتباره نظاما لغويا ، وهو إذا يرفضها لا لأنها لا تحمل فكرة صائبة و إنما لإهمالها صفة النص الجوهرية التي تكون حقيقته ، وتساهم في أداء وظيفته ،

يقول :" ونحن إذ نرفض هذه النظريات لا ننكر أن في كل واحدة منها جانب من الحقيقة ، ذلك بان النص الأدبي لا يخرج عن كونه نصا لغويا ، (شكري محمد عياد،1986،ص64) ولا كنه استعمال خاص للغة وهو نوع من الاتصال ولكنه يختلف عن الاتصال العادي فخواصه النوعية لا تنفي صحة المقولة العامة التي ينتمي إليها ، ولا ما تستتبعه من وظائف ولا كنم الأهم م نكل ذلك هو صفة الجوهرية في التي تشكل حقيقته ، وتعين وظيفته النوعية وهذا بالضبط ما تهمله تلك النظريات على اختلافها ، وكأنها تتجنبه ، إلى أن رفضه لهذه النظريات وللبنيوية خصوصا لا يعني رفضه لعملية النقد ، أن البنيوية تركز على الجانب العقلي والظاهر الفني وهو الموقف نفسه الذي يذهب إليه محمد مفتاح ليؤكد حينها العلاقة بين الظاهرة آتية والعقلانية في البنيوية يقول : " إذا البنيوية ذات أساس عقلاني تمتد ركائزه على الأقل إلى فلسفة كانت وأفقها الوصفي الظاهراتي الواقعي تنطلق من ظاهرة الواقع إلى اكتشاف ماهية البنية المنحدرة في الفكر الإنساني ، هذه البنية التي لها عناصر متفاعلة. (محمد مفتاح ،1986،ص67)

رابعا :البنية النصية

الاهتمام بالبنية النصية يغض النظر عن السياقات الخارجية، سواء السياقات الاجتماعية والنفسية اللتين تسهمان في الإبداع الأدبي. وإذا بحثنا عن بدايات هذه المناهج نستشف أنها كانت ثمرة لجهود وأبحاث في العلوم الإنسانية، فلما تطورت هذه العلوم خلال القرن العشرين، ناجم عن التطور ظهور مناهج نقدية اختلفت باختلاف نظرتها للأثر الأدبي. وتمكن الإشارة في هذا السياق أن أغلب العلوم الإنسانية تأثرت تأثرا كبيرا بعلم اللغة الحديث، فاللسانيات أصبحت الأنموذج في العلوم الإنسانية خلال القرن العشرين، إذ حققت نتائج علمية دقيقة في مجال دراسة الظاهرة اللغوي (محمد الورداشي ،2020، https://bilarabiya.net/12857.html)

فالقراءة النهائية والأحكام النافذة الحاسمة التي اعتمد عليها أحمد يوسف هي عادة ما تكون عامة من منظور المناهج السياقية فهو يقلل من أفق انتظار القاريء ويسد رجاءه في بلوغ آفاق أرحب أثناء المقاربة، لأنه محكوم ومأسور بالحكم الثابت والوثوقية اليقينية، التي هي سمة المحاولات

الشمولية التي تجمع بين حقيقة الأثر والظروف المحيطة به وعوالم الأديب الخاصة في بوتقة واحدة، وتحت محتمل واحد وغاية واحدة، في حين أنّ النص الحداثي يقتضي » فسحة من الاحتمالات لتلقيه وقراءته، ولا يغلق فضاءه الجمالي، بمعنى أوحد قد ينهيه تفسير حاذق، وقراءة ماهر. (أحمد يوسف ،2008،ص89)

فقد انطلق المنهج البنيوي من عنصر أساسي أغفلته المناهج النقدية الأخرى ، وخاصة في مجال الدراسات التطبيقة وهذا العنصر هو اللغة ، ومن ذلك كما يرى شكري محمد عياد " أن البنيوية تسعى إلى تحديد النص من خلال العلاقات الموجودة في النص الأدبي فالعلاقات الغوية هي المرتكز لأساسي في تحليل النصوص " (شكري محمد عياد،1985،ص153) .

فالنص الأدبي وفق توجه شكري محمد عياد في عرف المنهج البنيوي تحليل وإبداع لأنه بحث عن انسجام مع نفسه، وهو الموقف نفسه الذي ذهب إليه نور الدين السد الذي يرى أنه "على النص الأدبي هو نظام لغوي يعبر عن ذاته ، فالمنهج البنيوي يعتمد النص كبنية لغوية ولا يلغي كل ماهو خارج النص بل ينطلق في درسها من البني السطحية والعميقة ، ليكشف الوظائف الدلالية وإبعادها الجمالية في النص ولا مجال في البنيوية للفصل بسين الدال والمدلول كما تتخذ من النص مرجعا لها لان النص هوة المعني بالدرس أولا وأخيرا " (نور الدين السّد ،1997 ،ص73).

إنها تحاول أن تدرس العلاقات بين الوحدات اللغوية ، ويرتبط مفهوم العلاقات بمفهوم اللغة نفسها على البنيويين على أساس أن اللغة نظام من العلاقات ،فقد لخص لفي شتراوس طبيعة المنهج البنيوي ودوره في دراسة ظواهر تتجاوز الظاهرة اللغوية إلى الانتروبولوجيا ، ويمتد إلى كل العلوم الاجتماعية يقول : " أولا : يتحول علم اللغة البنيوي عن دراسة ظواهر لغوية واعية إلى دراسة بنيتها التحتية اللاواعية ، ثانيا لن يتعامل علم اللغة مع المسميات أو الكلمات بوصفها كيانات مستقلة ، بل يتعامل معها على أساس العلاقات التي تتضمنها ، ثالثا : يطرح علم اللغة النسق ، فلا تزعم على الفونيمات الحديث ، أن الفونيمات ، جانب من النسق فحسب ، بل

يظهر الأنساق الصوتية نفسها على نحو ملموس واضح البنية ، وبهدف علم اللغة البنيوي إلى كشف عن قوانين كلية سواء أكان ذلك بالاستنباط أو الاستبدال مما يعطي هذه القوانين صفة مطلقة (شكري محمد عياد،1985،ص153) .

إن القوانين النظرية التي حددها لفي شتراوس لا تختلف عن القوانين التي يدعو إليها المنهج البنيوي عن المستوى النظري على الأقل ، ومن ثم فقد " استفادت هذه المناهج من بعضها البعض إما أوجه الاختلاف فتظهر في الدراسات التطبيقية التي يستعمل أدوات إجرائية مختلفة ويسير فيها الباحثون وفق مناهج مختلفة ومن الطبيعي أن تختلف النتائج المتوصل إليه. إن شكري محمد عياد ، هنا يبحث عن الثوابت ، فعند ماوقف عند تحليل كلينث بروكس لقصيدة كيتس إلى " قارورةاغريقية" وتحليل ريفاتير لسوناته بودلير "القطط" فقد وجد نقدا واحدا اقصد النقد البنيوي سوى أن ريفاتير أكثر تفصيلا من الأول ، لكون أن الأول بحث عن الذات في حين أن الثاني بحث عن هذه الأدوات ، وعليه فقد وقف شكر محمد عياد أمام مختلف النصوص لمختلف البنيويين ، وخاصة ريفاتير الذي يرى ان المحلل البنيوي هو الذي ينطلق من النص الذي هو صرح مكتمل البناء ، فهو يسخر جهوده كلها لتتبع سمة الفدية في النص الأدبي ، وهذه السمة الفردية هو النص نفسه لذلك يرى شكري محمد عياد : " أن الأسلوب يحب أن يتغير ولا جب ان يكون محتكرا على النص لان العالم يتغير ومن ثم الإنسان يتغير باستمرار ". (شكري محمد عياد ،1993،ص33)

تتضح لنا أن البنيوية هي نظرية قائمة عل تحديد وظائف العناصر الترابطية الداخلة في النص لذلك نجد المسدي يرى أن البنيوية " قد تجرأت على النص وأزاحت ماكان يحيط بها من هالة قدسية تعيق عن الرؤية الموضوعية المتأنية ، إضافة إلى أن موت المؤلف ، كانت الفكرة الجانية عليها " فالبنيوية إذن هي الإعاقة الكلية عن الرؤية الموضوعية المتأنية التي يسير عليها المؤلف لذلك نجد شكري محمد عياد ، وفي خضم اتجاهه البنيوي يوضح مدى تقبل النقاد العرب لهذا

المنهج الذي يحاول وضع تصور للبنيوية ضمن مناهج النقد الأخرى معللا ولادتها ومدى علاقتها بالمناهج الأخرى كالسيميولوجية . (نور الدين السّد ،1997 ،ص73)

لكن سعد أبو الرضا يجد أن " استقبال البنيوية يتوزع عبر ثلاث مشارب مختلفة ، وهي الترجمة من النظريات النقدية الغربة إلى اللغة العربية تختص في مراجعة الموروث العربي ، وللخروج بأوجه الاتصال والتقابل بينه وبين ما لدى النقد الغربي " (سعد أبو الرضا ،2004،ص162)

تجدر الإشارة إلى أن المنهج النقدي البنيوي ينظر إلى النص من حيث هو نسيج من التشكيلات التي تضم زمني الكاتب والقارئ معا. ومنه، '' يعتبر العمل الأدبي بالنسبة إلى هذا النقد، أولا وقبل كل شيء، نظاما للأدلة .signes وأكدت المناهج النقدية القريبة العهد حداثيتها عن طريق'' العودة إلى النص'' ربما لم يقم النقد بأي شيء ، وهو لا يستطيع القيام بشيء، ما لم يقرر– مع كل ما ينطوي عليه هذا القرار– اعتبار العمل الأدبي، أو أي جزء منه، نصا قبل كل شيء: أي نسيجا من التشكيلات Figures ينعقد فيه معا زمن الكاتب الذي يكتب (أو حياته كما يقال (وزمن القارئ الذي يقرأه، ويتشابكان في هذا الوسط الغريب الذي هو الصفحة أو الكتاب.

(محمد الورداشي ،2020، https://bilarabiya.net/12857.html)

لذلك فالمحاولات النقدية ظلَت محدودة ومتواضعة رغم تحفزها وطموحها المتردد للتوازي مع ما وصل اله النقد الغربي فدون شك أن هذا الجهد سيكون محققا إما من خلال الإبحار في علاقات النص ، آو مواكبة التطور النقدي أما إذا جئنا إلى موقف عبد الله الغذامي قبل كتابة " الخطيئة والتفكير " يؤكد انه لا ثمة ناقد بنيوي صرف ، وإنما البنيوية كمنهج نقدي حاضر في اغلب الممارسات النقدية ، إلا انه وكما تفضل بإسداله النقاد حول المنهج البنيوي ، فسوف يكون إيمان أصحاب هذا المنهج وبما يكتبون يجعلهم رافضين نقد أو ملحوظة مما يمنه التواصل المثمر للرفع من قيمة النقد ومن ثم يمنع من معرفة ظروف هذا النص المساهمة في تحليله ، لذلك نجد شكري محمد عياد يقول : " إن التناقض هو ديدان الحضارة ، الساعية لتحويل كل عمل

أنساني إلى نظام مجرد ، لأكن الأدب اصطدم بها ، فهو- كما نعلم – عبر عن حالة لإنسان الشعورية . (شكري محمد عياد،1998،ص150)

خاتمة

فالنقد الأدبي هو العلم الذي يهتم بنقد الظاهرة الأدبية، والحكم عليها بالحسن أو القبح. ما نستشف منه أن النقد يرتبط بالأدب ارتباطا وجوديا، إذ إنه يبدأ مباشرة بعد إنتاج النص الإبداعي، ومنه، فإن النقد ضروري حتى يكون الأدب أدبا جيدا. كما أن النقد الأدبي يسلك طريقا وسطا لا تفضيل فيها لقديم على محدث أو العكس، وإنما هنالك كما يقول العقل الاعتزالي: محض الحسن والقبح، وذلك هو أساس النقد الأدبي.

-يعد النقد البنيوي أساسا تيارا نقديا ضمن تيارات نقدية عديدة، تنظر إلى النص الأدبي كيانا لغويا قائما بذاته. ومن ثم ينصب اهتماما على تحليل النص من حيث ألفاظه وجمله وتراكيبه ومجازته وصوره الشعرية (فائق مصطفى،1989،ص182)

-لتبقى البنيوية حسب تصوره بعد أن اخذ موقفا منها ، أنها أحد المناهج التي حلّت على ساحة النقد ، وانتشرت كالنار في هشم أصقاع الغرب ، وحاول أصحابها الرفع من شأنها ، إطالة عمرها ، إلا أن مبادئها نفسها هي من اغتالتها ، لعدم استطاعتها الوفاء بما يستحقه النص الأدبي فاندثرت بعد أن كتب لها الحياة والاستمرار حقبة من الزمن وستظل البنيوية عند لشكري محمد عياد منهجا له حسناته ، كما له سيئاته ، يستفاد منها بشكل جزئي – كما هو حال اغلب المناهج النقدية – مما تؤكد دعوى الاستفادة من جميع المناهج بعيدا عن سيئاتها المضرة بالنقد.

-بتعدد المناهج النقدية الحديثة ، يستدعي تعدد أساليب التحليل النقدي للخطاب الأدبي. هذا المنهج الذيّ شكل بؤرة نقاش حادة في بيئته الأصلية قبل أن يصير مجالا خصَب الاصطدام الأفكار وتنوع المواقف والرؤى بين معارض ومتحفّظ ومشجع في بيئة الثقافة العربية،على الرغم من وصول أثاره متأخرا قياسا بتتبع مسار حركته.

-فالتجديد والتطوير هو أمر طبيعي، لذلك رأت هذه الدراسة أن المنهج البنيوي عند شكري عياد هو دعوة لمواكبةً متطلبات العصر و تؤمن بالظاهرة كبنية منعزلة عن أسبابها وعللها، وعما يحيط بها، وتسعى إلى تحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية من أجل فهمها وإدراكها

قائمة المراجع :

المؤلفات

1- يوسف أحمد ،2008 القراءة النسقية، سلطة البنية ووهم المحادثة، منشورات الاختلاف ، ط2 ،الجزائر .

2- أبو الرضا سعد، 2004 النقد الأدبي الحديث ، رؤية إسلامية المتحدة للطباعة ،،د ط .

3- سعد البازغي سعد ،2004، استقبال الأخر في النقد العربي الحديث ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . بيروت .

4- عكاشة شايف ،1985، اتجاهات النقد المعاصر في مصر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،

5- محمد عياد شكري ،1986 دائرة الإبداع ، مقدمة في أصول النقد ،دار الياس العصرية ط1،مصر.

6- محمد عياد شكري،1993 على هامش النقد ، دار الكتب المصرية ،ط1 ،مصر .

7- محمد عياد شكري،1985، اتجاهات البحث الأسلوبي ، اختيار ترجمة ،شرح وإضافة ،مكتبة زهراء الشرق،مصر.

8- المسدي عبد السلام ،1997،الأسلوب والأسلوبية ، الدار العربية للكتاب ،ط3 .

9- بارة عبد الغني ،2005، إشكالية تأصيل الحداثة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب .

10-مصطفى فائق وعبد الرضا علي،1989،في النقد الأدبي منطلقات وتطبيقات ،دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ، ط1 1989،

11-فؤاد أبو منصور، دت ،النقد البنيوي، بين لبنان وأوروبا" نصوص ،جماليات، تطلعات"دار الجيل، بيروت، ،بيروت لبنان.

12-مفتاح محمد ، دت ،دينامية النص ، دار النشر المصرية (د، ط) ،.

13-ور الدين السّد ،1997، الأسلوبية في النقد العربي الحديث دار هومة الجزائر

الأطروحات

1-بوخافلة ميادة،2014، تجربة النقد البنيوي عند كمال أبو ديب من خلال كتابه "جدلية الخفاء و التجلي رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف المسيلة ،الجزائر .

2-نور الدين السد ،1994، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، أطروحة دكتوراه قسم اللغة والأدب العربي جامعة الجزائر.

3-حكيم دهيمي،2011، أسس النظرية البنيوية في النقد العربي الحديث رسالة دكتوراه كلية الأدب العربي جامعة باتنة.الجزائر .

المقالات :

1-محمد شكري عياد، 1983،النقد الأدبي ،مجلة فصول مجلة النقد الأدبي ،العدد الثالث الصفحات 150

2-بارة عبد الغاني ،2006، مجلة فصول ، مجلة النقد الأدبي العدد 67 شتاء ربيع ،الصفحات،121.

مواقع الأنترنت

1-حساء الإدريسي الكيري، 2015،البنيوية في النقد الأدبي
http://www.qabaqaosayn.com/node/9812

2-محمد الورداشي ،2020،مناهج النقد الأدبي الحديثة: المنهج البنيوي
https://bilarabiya.net/12857.html
3-شادلي مجلي سكر،2021،المنهج البنيوي في الادب
https://www.almothaqaf.com/b2/92240